57th Pugwash Annual Conference
Prospects for Disarmament, Dialogue and Cooperation: Stability in the Mediterranean Region
Bari, Italy, 21-26 October 2007

REPORT on WORKING GROUP 4
Religion-inspired political movements, the spread of radicalism and the consequences of the "War on Terror"

المؤتمر السنوي السابع والخمسون لمنظمة الباجواش
تصورات حول نزع السلاح ، الحوار والمشاركة :
الاستقرار في منطقة البحر المتوسط
باري / إيطاليا ، 21 -26 تشرين الثاني / أكتوبر 2007

تقرير عن مجموعة العمل الرابعة
الحركات السياسية المستوحاة من الدين ، انتشار التطرف وعواقب
"الحرب على الارهاب"

إدارة الجلسات: لين إيدن Lynn Eden (الولايات المتحدة الأمريكية)
كلير جاليز Claire Galez (بلجيكا)
المقرران : عبير ياسين abeeryassin@yahoo.com ؛
نُعَم رحاميم rahamim.noam@idc.ac.il (منظمة شباب الباجواش)

لقد لعب الدين على الدوام دورا هاما على امتداد العالم ، في الشرق والغرب على السواء ، وأدى على مر القرون دورا محوريا في التغيرات الكبرى في المجتمع الإنساني. وبالرغم من أنه يمكن النظر إلى القرن العشرين على أنه الأكثر علمانية ، فنحن الآن نشهد صحوة للحركات الدينية وزيادة في التطرف.

في مجموعة العمل تعاملنا مع هذه القضية المتشعبة من زوايا مختلفة ، وخصصنا جلساتنا الثلاث لمناقشات حول المناطق الجغرافية مثل الشرق الأوسط وآسيا الوسطى وأجرينا مناقشة عامة حول النتائج المترتبة على ما يسمى بـ "الحرب على الإرهاب". ركزنا بشكل رئيسي على الحركات الإسلامية في هذه المناطق ، وذلك في إطار الحرب على الإرهاب ، نظرا لأنها تمثل اللاعبين الرئيسيين. كان السؤال البارز في المناقشة : ما السبب في تزايد الحركات السياسية الإسلامية ؟ وما هي طبيعتها ؟

خلال الجلسة الأولى ركزنا على فكرة الهلال الشيعي وهل هو واقع حقيقي أم مجرد خرافة. ويتمثل الهلال في المنطقة المتصلة التي تضم الطوائف الشيعية وتمتد من لبنان ، وتمر خلال العراق ودول الخليج وإيران وحتى آسيا ، وتنظر إليه الدول العربية المحيطة والقادة الغربيون باعتباره مصدر تهديد يقوم على الاعتبارات الإثنية والدينية. تناولت الجلسة الثانية موضوع الشرق الأوسط ، وخاصة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ، وأفغانستان وباكستان فى آسيا الوسطى. وفي الجلسة الثالثة ناقشنا مسألة "الحرب على الإرهاب" وما يترتب عليها من عواقب.

اتفقت الآراء في مجموعة العمل على أنه من الخطأ اعتبار الشيعة كيانا واحدا مترابط البنيان. فالمجتمع الشيعي نفسه ينقسم إلى مستويات وأطر سياسية مختلفة ، وهي حقيقة تكشف عنها بوضوح تلك المواجهات العدوانية بين الشيعة ، سواء على الصعيد المحلي أو الدولي. ويبدو أن الولاءات والانتماءات السياسية في المجتمعات الشيعية المحلية لا يُمليها الوازع الديني ، الذي يعبّر عن جانب واحد فقط في نظام أكثر تعقيدا يشمل كل الجوانب المتعلقة بالهوية.

ومن المهم الإشارة إلى أن الدول والمجموعات المحلية ، أيا كانت دياناتها ، لا تزال إلى حد كبير تتحرك بدافع من المصالح السياسية أكثر منها بدافع العقيدة الدينية. والأمثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة : ففي الحرب بين أرمينيا المسيحية وأذربيجان الشيعية ، اختارت إيران أن تدعم الأرمن ، وليس الشيعة ؛ واليوم ، تحارب الجماعات السنية في العراق تنظيم القاعدة السني ؛ كما أن الجماعات الشيعية في جنوب العراق تستخدم العنف ضد بعضها البعض بأكثر مما تستخدمه ضد القوات البريطانية الأجنبية ؛ وفي أفغانستان يشارك الآن الجهاديون من الشيعة في الحكومة السنية ، وهناك المزيد من هذه الأمثلة. ولابد من القول بأن المصالح الوطنية والسياسية عادة ما تتغلب على الانتماءات الدينية.

سرعان ما تحول تركيزنا إلى مسألة أساسية حول العلاقة بين إيران الفارسية الشيعية وبين العالم العربي السني ، وهي علاقة حفلت تاريخيا بالعداء العنيف والتوتر الدائم. لقد كان من شأن صعود الجماعات الشيعية إلى السلطة ، أولا مع قيام الثورة الإسلامية في إيران ، وحزب الله في لبنان والآن الحكومة المنتخبة في العراق مدعومة من الولايات المتحدة، أن يتيح لها إمكانات واسعة للتأثير السياسي على الدول المجاورة ، وبالذات في منطقة الخليج التي تضم أعدادا كبيرة من السكان الشيعة ، بل إن بعضها تضم أغلبية شيعية. وتقليديا ، فإن هذه الجماعات محرومة في المعتاد من الحقوق المدنية والاجتماعية والسياسية ولا تحصل على تمثيل سياسي يتناسب معها ، وأحيانا لا تحصل على أي تمثيل سياسي على الإطلاق. وكما في الحالات الأخرى ، تلجأ المجتمعات المقهورة بدورها إلى البحث عن المساعدة من اللاعبين الخارجيين ، وبالتحديد من إيران. وهذا صحيح ليس فقط بالنسبة للجماعات الشيعية ولكن بالنسبة للفلسطينيين أيضا. وفي حين تبدو الأنظمة الرسمية متبلدة ، وغير قادرة أو غير مستعدة لتوفير الاستقرار وتأمين حقوق الإنسان لمواطنيها ، فإن الحركات الاجتماعية والدينية تنهض لسد هذه الفجوة وحشد قاعدة شعبية واسعة لدعمها. ولذلك فهي بحكم طبيعتها ظاهرة اجتماعية وسياسية وليست ظاهرة دينية ، كما أن مما يعززها أيضا تراجع القومية العربية وضعف الأنظمة السياسية.

في إطار العولمة ، وهي السياق الأكثر عمومية ، ومع وجود الكتل الكبيرة من السكان تتراجع القومية فتخبو جذوتها وتفقد حضورها. أما الهويات القديمة الجديدة ممثلة في الإثنية والقبلية والدين فهي آخذة في الصعود ، ومعها المواجهات القديمة الجديدة. وتساهم وسائل الإعلام بشكل كبير في هذه المواجهات ، مع التوسع في استخدام اللغة التي تؤكد فكرة "نحن في مواجهتهم" ، وتتجسد بصورة أكثر وضوحاً في سياق ما يسمى بـ "الحرب على الإرهاب" - عندما تكون أنت "إما معنا أو مع الإرهابيين". وتعمل التحركات الموازية عملها في خلق التوترات داخل الدول وفيما بينها ، وفي زعزعة الاستقرار في جميع أنحاء المنطقة إلى الحد الذي يشكل خطرا على الأنظمة الحالية. أما اللاعبون الرئيسيون الذين يستفيدون من هذا الوضع فيتمثلون في إيران التي تحشد قوى التأييد مع تزايد السكان الشيعة ، وفي جماعات الوهّابيين الإسلاميين الذين يستلهمون حركتهم من وحي جهاد الأفغان ويتلقون الدعم المالي من السعودية. وقد كانت هذه الجماعات هي أول من أضفى المبررات الدينية على الصراعات العرقية الوطنية القائمة ، كما في حالة باكستان وكشمير والشيشان.

ولذلك ، كان هناك توافق في الآراء داخل مجموعة العمل في هذا الشأن على أن الدين في حد ذاته ليس هو المحرك من وراء الحركات السياسية ، ولكنه في الواقع يُستخدَم من قِبَل القادة السياسيين والجماعات كأداة للتعبئة. ومن ناحية أخرى ، فإن الحركات الدينية تستغل مجال النشاط السياسي لكسب مزيد من النفوذ وتوسيع تمثيلها الانتخابي من خلال الأدوات السياسية. وفي الحقيقة فإن الدين والسياسة يلعبان لعبة ذات اتجاهين متداخلين ولا يمكن فصلهما.

إن الفراغ السياسي يترك المجال مفتوحا أمام التطرف والتدخل العسكري. وفي معظم الحالات ، يبرز الدين والمبررات الدينية كرد فعل في مواجهة الحكام الفاسدين ، ويصبح التطرف هو القناة الوحيدة المتاحة أمام الكثيرين للتعبير والتنفيس عن الإحباط وتحقيق الرفاهية للكثيرين. وفي هذه الظروف المواتية يظهر فجأة على السطح زعماء دينيون يجدون من السهل عليهم اللعب على مشاعر الخوف والكراهية ، من أجل كسب الشعبية ، وهم بذلك يشعلون نيران التطرف والصراع.

ولما كان ذلك يمثل في الواقع استثارة لقلوب وعقول الناس ، فإننا نرى أن أفضل طريقة لمواجهة هذا الأمر هي إقامة حكومة رشيدة ، يتناسب تكوينها مع التقاليد المحلية ، وتستشعر احتياجات جماهيرها. وقد لوحظ أنه في باكستان ، ساعدت عملية الانفتاح على الأفكار الديمقراطية على تخفيف حدة التوتر وتهدئة النزعة إلى تحريك أعمال العنف. وما دامت الأصوات الليبرالية والمعتدلة لا يمكن سماعها ، ومادام لا يسمح لأنماط جديدة لإدارة الصراع بين الدولة والأفراد أن تنشأ ، فسوف يبقى التحفز والاستقطاب ، بين نظام يلجأ للقمع ، وعادة ما يكون نظاما فاسدا ، وبين المتطرفين ، والحركات الأصولية التي عادة ما تتسم بالعنف.

ولكن ، كان هناك إجماع على أن الاندفاع الأعمى في التجاوب مع هذه التحركات يعتبر خطأ سيلحق الضرر بقدرتنا على التمييز بين الجماعات ، لأن هناك الكثير من الظلال الرمادية. ومن الضروري أن نتفهم أفكار هذه الجماعات ، وأن نتعامل معها في نفس الوقت من أجل خلق بيئة تسمح بإيجاد فرص جديدة للتغيير في طبيعة العلاقة معها.

وعلاوة على ذلك ، فإن التوسع في عملية "الحرب على الإرهاب" يبين بوضوح أن الاقتصار على استخدام الوسائل العسكرية يؤدي إلى نتائج عكسية بالنسبة إلى كسب القلوب والعقول. وخلال ست سنوات من هذه الحرب ، فقد امتدت قواعد الجهاد إلى دول مختلفة بينما نرى مظاهر الإرهاب والعنف المرتبطة بالجهاد آخذة في الانتشار. وبسبب هذا العنف المتنامي ، فإن جماعات المعارضة في الدول العربية تزداد شوكتها ، وتنتشر المزيد من الاضطرابات في الشارع الإسلامي.

عندما نتحدث عن الإرهاب ، فلابد من التسليم بأنه استهداف متعمد للمدنيين. وإذا كنا نرغب في التغلب على الإرهاب فعلينا أن نعير الانتباه المناسب إلى كل العناصر متمثلة في القدرة على تنفيذ العمليات الإرهابية وكذلك الدوافع إلى القيام بها ، مع الاهتمام بدرجة أكبر بالعمل على الحد من هذه الدوافع. وذلك يمكن أن يتأتى في شكل إنشاء مؤسسات فعالة والاعتناء بالتعليم ، وزيادة الاستثمارات والفرص الاقتصادية ، واستعادة الشعور بالكرامة ، وغير ذلك الكثير. وبهذه الطريقة سنتمكن من أن نعزل المتطرفين ونكسب قلوب الناس وعقولهم.

وهذا لا يعني الانسحاب الكامل والفورى للقوات الأجنبية من العراق وأفغانستان. إن "الحل السحري" عن طريق "الديمقراطية" هو أيضا ليس مناسبا ، وينبغي على القوى الغربية ألا تفرض الأفكار الإثنية الرامية إلى المركزية. على العكس من ذلك هناك حاجة ملحة لزيادة الجهود من أجل إعادة البناء والمصالحة ، على أساس التحاور مع المواطنين المحليين. وينبغي بذل الجهود الرامية إلى التركيز على مزايا ومصالح العمل المشترك ودعم الحكم الرشيد. ويشارك في هذه المسؤولية كل من القوى الغربية والأنظمة المحلية على السواء.

وهذه خاتمة من عدة نقاط مختصرة :

- الظلم الاجتماعي هو مصدر رئيسي لزعزعة الاستقرار الداخلي ، وله تأثيرات عميقة على العلاقات الإقليمية والدولية. ولذلك علينا أن نركز على المصلحة المشتركة في تحقيق الاستقرار والازدهار في الداخل ، على أساس المساواة وحقوق الإنسان.
- العمل من حيث المبدأ ، على تهيئة المناخ للحديث والحوار مع الأطراف الأخرى بقصد اجتذابهم وليس استبعادهم.

- ينبغي على الأنظمة القائمة العمل على تحسين العلاقات مع المجتمعات المحلية ، متمثلة في الحقوق المدنية والاجتماعية والسياسية ، والأوضاع الاقتصادية.
- بالنسبة للقوى الخارجية ، وبالذات الولايات المتحدة ، من المهم جدا أن تحول جهودها نحو استخدام القوة الناعمة والدبلوماسية الثقافية. فالقوة العظمى يمكنها أن تحدث أضرارا هائلة ولكنها أيضا يمكن أن تحقق منافع هائلة.
- يجب استخدام التفسيرات الإيجابية والأفكار السلمية في الإسلام. وكما تم استخدام الدين ليفرق بيننا ، فبمقدورنا استخدامه كمصدر لتوحيد لجميع البشر ، عبر التأكيد على عوامل الاتفاق بدلا من الاختلافات الطفيفة. وهذه مهمة طويلة الأمد تصب في عملية تثقيف الجماهير وخاصة في العالم الإسلامي ، وعلى الدول تحمل مسؤوليتها في التغلب على تأثير المدارس المذهبية ، وبوسعها أن تبدأ من الآن.
- يجب أن يكون جميع اللاعبين قادرين على نقد الذات ، وأن يراجعوا اختياراتهم باستمرار لتوافق التفسيرات الإنسانية في الدين والسياسة.

كان هناك تعليق نجده على المستوى الشخصي شديد الأهمية. فربما كانت جملة : "تذكر إنسانيتك وانس ما عدا ذلك" هي العبارة الأكثر ترديدا في هذا المؤتمر. ونحن نقول ذلك مرة أخرى لأننا أثناء مناقشاتنا الممتعة جدا ، وجدنا أنفسنا مرارا مشدودين إلى جدل سياسي ، نركز على السياسة وليس على الإنسانية ، وننحرف بعيدا عن القوة الكامنة في هذه الفكرة. ولذلك في هذا السياق وفي كلمات مختصرة نقول إن علينا أن نذكّر أنفسنا باستمرار بتلك الحقيقة بشقيها : تذكر إنسانيتك وانس ما عدا ذلك.